

رمضان شهر البركة



أحمد أحمادي | إمام أستاذ رئيسي

ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل".

في الحديثين السابقين يبين لنا الحبيب المصطفى ﷺ أن شهر رمضان هو شهر البركة، يزداد فيه رزق المؤمن ويضاعف فيه ثواب وأجر العمل الصالح.

فما البركة؟ وما معناها؟ وكيف تكون البركة في سائر أحوال المؤمن وفي حياته كلها؟

معنى البركة

البركة في اللغة تعني الثبات واللزوم والاستقرار، فيقال برك البعير إذا استقر على الأرض. ويقال عن الماء الراكد الذي لا يتحرك بركة؛ فاستقرار النعمة ودوامها وعدم زوالها بركة، واستقرار الشيء ودوامه لا يبقى على حاله، ولكنه يزداد وينمو، لذلك فإن من معاني البركة النماء والزيادة، فكل ما أنعم الله به عليك من النعم إن استقرت ونمت وازدادت، فهي بركة من المولى عز وجل.

البركة من الله تعالى

والبركة لا تكون إلا من الله تعالى، فهو المنعم وهو المعطي، فما من خير إلا هو سائقه وما من فضل إلا هو مدبره. يقول الله تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف، آية: 54]

وقال جل شأنه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْحَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون، آية: 14]

وقال أيضا ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك، آية: 1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، أما بعد: فقد استقبل الحبيب المصطفى ﷺ شهر رمضان الكريم بخطبة جامعة وافية، بين فيها فضل الله تعالى وكرمه علينا في هذا الشهر العظيم، وبيّن فيها الكثير من خصال الخير.

أخرج ابن خزيمة في "صحيحه" (1887) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال ﷺ: {أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء} ، قالوا: " ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم "، فقال: {يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة، أو شربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة}.

وأخرج الطبراني (4783-مجمع الزوائد) من حديث عبادة بن الصامت (رضي الله عنه): "أن رسول الله ﷺ قال يوما وحضر رمضان: {أتاكم رمضان، شهر بركة يغنيكم الله فيه، فينزل الرحمة ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم،

ولله در الشاعر إذ يقول:

لا تخضعن لمخلوق على طمع... فإن ذلك نقص منك في الدين
لن يقدر العبد يعطيك خردلة... إلا بإذن الذي سواك من طين
فلا تصاحب غنيا تستعز به... وكن عفيفاً وعظماً حرمة الدين
واسترزق الله ممافي خزائنه... فإن رزقك بين الكاف والنون

الدعاء بالبركة

والحق سبحانه وتعالى يعلمنا في كتابه الكريم كيف ندعوا وبما ندعوا، فيذكر نبيه نوح عليه السلام في دعائه يقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون، آية: 29] فاستجاب الله لدعائه ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ [هود، آية: 48] ومن دعائه ﷺ: اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي فيما رزقتني. أخرجه الترمذي (3500) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

ومن دعائه أيضا ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

أخرجه الطبراني في الكبير (10426) والحاكم (977) من رواية ابن مسعود (رضي الله عنه).

وذكر المصطفى ﷺ دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام لمكة بالبركة، فدعا للمدينة وزيادة فقال: ﴿اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَحَلِيلَكَ وَدَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي مَدِينِهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلِي مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ﴾.

أخرجه الترمذي (3914) من حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

البركة في العيد

ووصف الحق جل وعلا كتابه الكريم بالبركة، فقال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص، آية: 29] فإذا التزم العبد بكتاب الله تعالى قارئاً متعلماً عاملاً بما فيه، بارك الله تعالى فيه، وبارك له في أهله ورزقه وفي عمره، فلا تمر به ساعة إلا وقد اغتنم فيها من خير يرضي الله ورسوله.

قال الله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم، آية: 31-30]

وبارك له في بيته ووسعه عليه وعلى أهله، يقول رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ أَصْفَرَ الْبَيُوتُ بَيْتَ لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ﴾.

أخرجه الحاكم (2080) من حديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه).

وبارك له في زوجته وذريته، فالبركة لا تكون بكثرة المال وإنما في رضا الحق جل وعلا؛ يقول الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مَوْوَنَةً﴾.

أخرجه أحمد (24529) من حديث عائشة (رضي الله عنها).

فكم من بيوت يملك المال الكثير، ولكن يعيشون في بغضاء وشحناء، لا ينعمون براحة ولا مودة فيما بينهم. وكم من بيوت لا يملك أصحابها إلا القليل، ولكن الله تعالى يبارك لهم فيه ويرضيهم ويرضى عنهم، فينعمون بالمودة والرحمة.

قال الله تعالى ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق، آية: 7]

ورسول الله ﷺ يوصينا بالكلمة الطيبة التي تبعث في النفس الرضا، فيبارك الله تعالى على أهل البيت فيقول ﷺ: ﴿يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَتٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ﴾.

أخرجه الترمذي (2698) من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه).

البركة في الرزق

والبركة تكون في الرزق بتقوى الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَآخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف، آية: 96].

أما الحرام فمأله إلى قلة وزوال وهلاك، قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة، آية: 276]

ويؤكد على ذلك المصطفى ﷺ فيقول: ﴿ما نقص مالٌ عبيدٍ من صدقة﴾ أخرجه الترمذي (2325) من حديث أبي كبشة الأنماري (رضي الله عنه).

ويحذر النبي ﷺ من الكذب والغش والخداع في طلب الرزق، فيقول ﷺ: ﴿الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُرُوكَ لهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا﴾.

أخرجه البخاري (2079) من حديث حكيم بن حزام (رضي الله عنه).

البركة في السحور

جدير بالمسلم الصائم أن يتسحر، وأن يؤخر سحوره إلى ما قبيل الفجر، ولو كان السحور قليلاً، لأنه مَضْنَةٌ حلول الخيرات والبركات العظيمة، فقد جاء في الحديث المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تسحروا فإن في السحور بركة.

من بركات السحور أن فيه تقوية على الطاعة، وإعانة على العبادة، وزيادة في النشاط والعمل.

ومن بركات السحور ابتعادك عن مساوئ الأخلاق التي قد تنشأ عن الجوع.

ومن بركات السحور، تعرض الصائم لنفحات ربانية تتجلى برحمة الله عز وجل على عباده، يكون المسلم الصائم حينها متهيئاً لقبول هذه النفحات بالدعاء والصلاة والاستغفار قال الله تعالى ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات، آية: 17-18-19].

هذه إشارات إلى بركات جمّة كثيرة لا يسع ذكرها على وجه الاستقصاء.

وبالجملة فالبركة إذا دخلت الجسد قوّته، وإذا أصابت الولد أصلحته، وإذا مسّت المال كثرته، وإذا وافقت الوقت عمرته، وإذا حلّت في القلب أسعدته.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وتقبل الله منا ومن جميع المسلمين صالح الأعمال. آمين يا رب العالمين.